رسالة الفصح

من بطريرك موسكو وسائر روسيا كيريل

إلى كبار الرعاة والرعاة والمترهبين وجميع الأبناء المخلصين

للكنيسة الأرثوذكسيّة الروسيّة

أحبّائي في الربّ، الرعاة الكبار الأجلاء، والقساوسة والشمامسة الأفاضل،
والمتوحّدون والمتوحّدات المحبّون لله! إخوتي وأخواتي الأعزّاء!

فيما أبتهج بمناسبة هذا العيد العظيم المجيد، عيد قيامة مخلّص العالم من بين الأموات، وأنا أراه في مخيلتي خارجا من القبر، فإنّي أوجّه إليكم جميعا هذا الهتاف المتفائل الزاخر بالقوّة الداخليّة والحقّ الذي لا يُقهر والفرح:

قام المسيح!

تُظهر ليلة الفصح البهيّة للبشريّة كمال المحبّة الإلهيّة التي اتّخذ بها الابن الأزليّ للآب الذي في السماوات الطبيعة الإنسانيّة، وشفاها من مرض الخطيئة، ونزل إلى أعماق الجحيم ليكسّر قيود الموت، واهبا لنا فرصة لا تقدّر بثمن للاتحاد مع خالقنا ومدبِّر أمورنا.

إننا بمشاركتنا في هذه المحبّة الربّانيّة الشاملة نكتسب سلاحا لا غالب له في تصارعنا "مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ" (أف 6: 12). إننا نتجاوز الخوف الناجم عن محدوديّة طبيعتنا الإنسانيّة، ونكتسب القدرة على أن نواجه بلا خوف تحديّات الزمن أيّا كانت. إذ "لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ" (1يو 4: 18).

ليس صدفة أن يُخبرنا الإنجيل تكرارا قول الربّ الذي يقوله ليقوّي روح أتباعه ويشدّ أزرهم: "لا تخف". إنّ الخوف من المستقبل والخوف من المخاطر . مجهولة كانت أو وهميّة أو واقعيّة . هو شعور يعرفه كثيرون. لكنّ الربّ قائم بيننا ما لم نرذله نحن بأنفسنا. وفي أيّام تمجيد نصره على الموت يعود المخلّص وينادي كل واحد منّا: "لاَ تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ" (مر 5: 36).

فلتكن تصرّفاتنا المعارضة لروح دهرنا الشرّيرة إثباتا حيّا للحقّ الأزليّ. فنحن وإن كنّا نعيش حاليا في ظلّ الحرّية الاجتماعيّة والدينيّة، إلّا أن السعي للعيش في توافق مع القواعد الأخلاقيّة المسيحيّة لا يزال مغزاه هو

السير ضدّ التيّار. إذ أنه يكشف مخالفته لتلك الأنماط السلوكيّة وتبرير الخطيئة التي يتمّ وضعها بإصرار وانتظام في حياة الناس عبر جميع الوسائل الحديثة للتأثير في الوعي.

بتوجّهنا إلى الربّ نستطيع أن نخرج من الفراغ الروحيّ والأنانيّة السائدة في العالم ونرى نور القيامة ونتخذه مَعلما هاديا في سيرنا إلى المدينة السماويّة.

فليكن مصدر القوة بالنسبة لنا في سيرنا هذا إلى الأبديّة هو شراكتنا في كأس الإفخارستيا الواحد. فلتقوّينا نعمة الروح القدّوس، واهبة لنفوسنا سلاما لا يتجزأ منها وثباتا في الإيمان وتقدّما في المراحم.

باشتراكنا في التناول من جسد المسيح ودمه نصير، على قول الكتاب المقدّس، "شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ" (2بط 1: 4) القادرين على تغيير حالتنا الطبيعيّة. يمكّننا سرّ المناولة من أن نُشبه في كلّ شيء ذلك الذي من أجلنا "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (في 2: 7–8).

إنّ التغيير الأخلاقيّ والروحيّ للذات هو الرهان والأساس الرئيس لتغيير حياة المجتمع والشعب والبلاد. لا يمكن تغيير الكلّ إلى الأفضل من دون تحسين جزء منه. يشكّل التوجّه الصحيح لعقول الناس من كلّ الفئات العمريّة والاجتماعيّة والسياسيّة شرطا مباشرا لرفاهيّة الوطن. إنّ نوعيّة معالمنا الحياتيّة هي التي ستحدّد اتجاه تطوّر جميع دول روسيا التاريخيّة وتطوّر كنيستنا، بل وستحدّد في نهاية المطاف مصير خليقة الله كلّها التي أعطاها الخالق لنا كي نحرسها "ونَحفَظَهَا" (تك 2: 15).

إنّي أتمنّى لكم في صلواتي، يا أحبّائي، دوام الفرح في المنتصر على الجحيم الذي قام من بين الأموات، ووفرة المساعدة من العلاء في أعمالكم اليوميّة.

... حقّا قام المسيح!

آمين.

كيريل

بطريرك موسكو وسائر روسيا

موسكو

عيد الفصح 2012